

تعتبر نظرية نقاوة العرق اليوم من التقريبات البالية بعد أن اثبتت الدواست العلمية الدقيقة والمتعددة علم صحتها ، ولم يبق من يؤمن بها الا عند قبيل من المتحجرين ذوي المصالح علما بانهم لا يلتقون في اعتقادهم تأييدا ولا يحضون بأي تقدير .

غير ان اسرائيل بالرغم من وفاء العلم لهذه النظرية فانها تتبناها عقيدة اساسية ، وتعتبر قيام دولتها قائما على اساس هذه الفكرة . وقد اثار مؤلفها اشتراك العالم واستحسانهم ، فاصطلحت هيئة الاسم المتحد ، وهي اعلى مؤسسة عالية اقرارها بان اسرائيل دولة عنصرية ، وان هذا شار استهجان العالم .

ان هذا القرار الخطير صادر من اعلى هيئة دولية وستند على اساس علمية ومثبت من الانظار التي تنجم في العالم من كتبي هذا المجلد . غير انه بالرغم من ذلك فان اسرائيل للفتن للقرار ، وطلت خصصتها بمقيدتها العنصرية دون جأه او خجل . وقد تنامت اسرائيل ان هذه الحقيقة عفاقتة لكل الدراسات العلمية .

وقد ظهرت حديثا دراسات تثبت ان اليهود ليسوا عنصرا نقى البني ، ولكنهم خليط من دماء متعددة . ومن ابرز هذه الدواست كتاب صيفر في الصنف الماضي ، مؤلفه الكاتب البريطاني اليهودي المشهور آرثر كستلر ، يبين فيه ان اكبر مجموعة من اليهود هي التي تسكن في روسيا واوروبا الشرقية ومن خارج منهم الى الولايات المتحدة ، وان هؤلاء اليهود اسلمهم من المصور الذين كانوا يسكنون في المصور الوسطى في جنوب روسيا ، وليست لهم علاقة عرقية بالاسرائيليين الذين كونوا دولة في فلسطين ، لذلك فان القول بان اليهود خالصوا العلم وانهم يتكونون من اثني عشرة قبيلة (سبطا) هو قول غير صحيح ، لان الغلبة يهود المشرق الحاضر هم من المصور في الأصل ، وقد اورد أدلة تاريخية وحضارية والتربولوجية كثيرة لتوضيح وضع رأه ؛ وبذلك يكون يهود هؤلاء المصور القبيلة الثالثة عشر والامر اذا كان اليهود اثنا عشر قبيلة كما يزعمون ؛ ومن هنا يحصل عنوان كتابه The Thirteen Tribe

ومؤلف الكتاب هارتر كستلر يهودي من اوانط اوريا ، فايوه مجري ، وامه نمساوية ، وقد اعتنق المعتقدات السارية ، وحارب مع الشيوعيين في اسبانيا ، ثم لجأ الى فرنسا حيث سجن بعد الاحتلال الألماني للفرنسا ، ثم فر من السجن ولجأ الى انكلترا ، وشارك الملتحقين على روسيا وتولوا على الاحزاب الشيوعية ، ونشر عددا كبيرا من الكتب الادبية والسياسية ؛ وتعتبر كتبه بوضوح الفكرة وسلسلة الاسلوب .

والكتاب الذي تلخصه اليوم صدر في انكلترا قبل بضعة اشهر ، بلقي اقبالا عظيما عند الناس ، ولكنه اثار استياء شديدا عند اليهود ، ففتنوا عليه حيلة عنيفة ، ونشروا البحوث والكتالات في التهجم عليه ، وبالنظر لأهمية الكتاب فاننا نقدم تلخيصا رائيا له ، محاولين المحافظة على روح الكتاب ولحم محتواه ، ولا ريب في ان الكتاب عن اليهود . وقد عرض بعض الاراء التي يمكن اعتبارها صائفة في دوره ، كما انه قسم تفاصيل كثيرة عن دولة اليهود في المصور ، وقد اثار ان يكون لها نفس التفصيل في ملخصنا للغة المعلومات عنها ، ولما لانتها بتاريخ العرب والمسلمين في المصور الوسطى ، هذا فضلا عن ان معرفة العدو على حقيقته يساعد على وضع خطط النضج للحرب في كفاءهم الاساسي ضد اسرائيل .

السياسة

الثالث

عشر

د. صالح احمد العلي



دولة الخزر

كانت تسيطر في
أواخر القرن الثامن
الميلادي على السهال

لتخضع دول كبيرة يمكن لكل منها
ملك عليهم؛ فالدولة الإسلامية التي
تمتد بلدها من أواسط آسيا حتى
الحدود الأسيية كان على رأسها
الخليفة هارون الرشيد، وبالقرب
منها كانت الدولة البيزنطية التي
تحتكم إقليم مستند من أواسط آسيا
الصغرى حتى إيطاليا، وعلى عرشها
الإمبراطورة إيرين، أما أوروبا فكان
يملكها شارلمان الذي توج نفسه على
الإمبراطورية الرومانية الجديدة التي
شملت فرنسا وألمانيا وشمال إيطاليا.
ول ذلك الوقت أيضا كانت المنطقة
الواقعة بين القوقاز والقوقاز
شرقي أوروبا تحكمها دولة يهودية
تتروك بإمبراطورية الخزر. ولقد
قامت هذه الدولة إبان أوج قوتها بين
القرن السابع والقرن العاشر الميلادي،
بدرهم من تشكيل مصافي أوروبا في
الصور الوسطى ثم الحديثة. وما
زمنها ما ذكره المؤرخ البيزنطي
تسطينس بسوق فيدور جيس من أن
الكتب التي كان يرسلها الإمبراطور
البيزنطي إلى الهباب أو إلى إمبراطور
أوروبا الغربية كانت تفتح بفتح ذهب
قيمة دينار، أما الكتب التي كانت
ترسل إلى ملك الخزر فكانت قيمة
ذهب ختها ثلاثة دنانير. ويقول
المؤرخ الإنكليزي بيوري أن خانات
الخزر لم تكن مرتبطة عند الإمبراطور
البيزنطين أقل من مرتبة الإمبراطور
شارلمان.

دورها

حكمت دولة الخزر البلاد الواقعة
بين البحر الأسود وبحر قزوين،
وبذلك كانت كالد الذي حسم
الدولة البيزنطية من غزوات البشار
والجسرين، والبشك ثم القايكيت
والروس، كما صبت النظم العربي
إلى الأقاليم الشمالية، ولعل دورهم
مما هو الكليدما يقطنون القاسم
(الخزر) إلى التزوج من ابنة
ملك الخزر.
ولا قام العرب بالفتح وحطوا
جنح الروم وإزالوا الدولة الساسانية
تقدم رتل من قواتهم نحو الأقاليم
الشمالية وأحرقوا انتصارات في مناطق
أرمينية والقوقاز. غير أن العرب
تفرقوا ولم يتابعوا انتصاراتهم
بسبب اشتغالهم بالثكنات الداخلية
التي قامت في أواخر الخلافة الأموية
وقد اتاح توقف العرب الفرسية
للخزر في تثبيت أقدامهم في شمال
القوقاز: ثم اتخذوا في سنة ٧٤٠ م
(١٣٣ هـ) اليهودية ديناً رسمياً لهم
علما بأنهم لم يكونوا من نسل

إسرائيل ولم يكن اليهودية سلك
سياسي لذلك. ولما سقطت دولتهم
تشتتوا في القرم وأوكرانيا وبنفارت
ويونان وإتاليا، وبذلك كانوا ليسوا
بمقتد الزخرون، أصول اليهود في
هذه المناطق، أي أن يهود هذه المناطق
هم من أصل غزوي، وليسوا من
أصل إسرائيلي.

موقف للأورخين اليهود لها

وقد حاول بعض المؤرخين الحديثين
وعامة اليهود منهم، على تجنب
معالجة هذه الحقيقة، وعصوا على
عدم إيرادها لقراء، ويتجلى هذا
وأصفاً ليسا كتبه صرخو دانسرة
المؤلف اليهودية في طبعه سنة ١٩٧٢،
وتلك ليسا كتبه بولياك استناد
والفتح اليهودي في الصور الوسطى:
ومن التراجع أن يهود شرقي أوروبا
يكونون أكبر كتبه من يهود العالم،
وأن معظم يهود الولايات المتحدة هم
من هذا الجنس، وهم جميعاً من أصل
خزري، أي أن أصولهم ليست في
السلطان بل في القوقاز، ولا يفهم
القديس ليست كتمان بل القوقاز، وهم
في دعم أقرب إلى اليون والجزر منهم
إلى السانيين.

من هم الخزر

كان الخزر في القرن الثالث الميلادي
قبائل يعيشون في الخيام، ثم اتخذوا
في عصر الإيام في الاستقار وانتشروا
القرى والمدن، وجعلوا يهتمون بتربية
الشكل، كالخيل، غير أنهم لم
يتروكوا حياة التجوّل حتى يند
استقراهم، فيذكر الإسطخسري في
كلامه عن عاصمتهم الأناطوليس لهذه
المدنية قري، إلا أن مؤرخيه مفرقة،
يخرجون في الصيف في الزروع تحو
عشرين فرسخاً ليزرعوا، ويحصدوا
بعضه على البئر ويضعه على الصناديق،
فيقولون غلاتهم بالجميل وفي التمر.
استطاع الخزر أن يكونوا دولة
بسطت سيطرتها على المنطقة التي
بين القرم والبحر القوقاز، وانتشروا
حرباً قوية على طول حدودهم،
وسيطروا على بحر قزوين، ومن هذا
جاءت تسمية العرب له وبشر الخزره.
وقد وصفهم ابن سعيد المغربي بأن
يشتربهم بيشاق، ويعيونهم ذوق،
ويصرعهم مسترسل اشقر، وبانابهم
غصنة، ولهمم بارد، وقيل عنهم
الاستخاري: والبخشور لا يشبهون
الأتراك، وهم سود الشعر، وهم
صفتان: نصف يسبون قرا خزر،
وهم مسير يبرون لشدة السيرة إلى
السواد، كأهم صفت من الهند،
وصفت بيشاق طاهر السواد المسمن
والجمال.

أصلهم

لا نعلم على وجه التحقيق أصل
الخزر، ولكن المرجح أنهم هاجنوا
من أواسط آسيا في حدود القسطن
القاسم الميلادي، لهم أقرب السمن
الشعوب التركية: ولعل أصلهم
شقيق في الأصل من التركية وجزء
أي فالتجيز أو البيلوي، ومن
الطريف أن ذكر أن كلمة مهره عند
القسوق الروس وعبد القناترين
منعاهم القوسان، وأن كلمة
ديويدي، ويذكر السقوي أن الخزر
هم من نسل يافث، ابن نوح.
ورد ذكر الخزر في مؤلفات الكاتب
البيزنطي ذكريا الخطيب الذي ذكر
أنهم كانوا يعيشون في منطقة
القوقاز، كما ذكرهم بركسوس،
وهم مؤرخ بيزنطي زار بلاد البشاق،
تحدثت عن الخزر البشاق وسحاولة
البيزنطيين خضعتهم إلى جانبهم دون
نجاح. ولما سقطت دولة الهون قام
الخزر ببشاق القزوزات في منطقة
القوقاز وخضعوا خلال ذلك لدولة
البشاق من دولة الترك التي حكمت
تلك المناطق فترة من الزمن، وقد
حاول الإمبراطور البيزنطي هرقل
مخالفتهم في حربه مع الفرس.

الخطاوم

وقد أدرك الساسانيون خطر
الخزر وحيصاتهم على الإمبراطور
الشمالية من دولتهم، فكانوا يصنعون
باب الأبواب ليدسوا الثغرة التي
توجد منها الخزر. ولما قضى
العرب على الدولة الساسانية ووتروا
أراضيها، اتخذوا موقف الجحشوم
تقدموا من باب الأبواب وتغلطوا في
الشنال مستهدفين فتح بلنجر وهي
أكبر المدن الخزرية القريبة من منته
الحدود، واستطاع القائد العربي
سلمان بن ربيعة الباهلي من التبع
عديين من الفن والقلاع، ولكن
تدعيمه من الخزر قابله عند أبواب
بلنجر، وانتصرت عليه، وقتل حو
حوالي أربعة آلاف من جيش المسلمين
في سنة ٣٠ هـ، فتوقفت الفتح
الاسلامية مؤقتاً في هذا المكان، ثم
الخزر بعد أن امتوا بهذا الانتصار
حودهم الجنوبية، توجهوا نحو
الرب لأخضعوا قبائل البحر والبطار
وأوكرانيا والقرم، وكروا دولتهم
ضمت هذه الشعوب.
ثم جدد العرب حملاتهم، وهاجموا
في بعض هذه الحملات نجاحاً كبيراً،
وهم من الخزر إندوا مقاومة وجلبدا،
فقد استطاع مسلمة بن عبد الملك فتح
بلنجر وسنند، ولكنه عاد وانسحب
منها. وفي سنة ١٢٠ هـ قاد مروان

بن محمد ، وكان واليا على الجزيرة وادمنية ، حلة استطاعت التوسل والسيطرة على تلك البلاد ، واشتبك مع خاقان الخزر فانتصر عليه ودمر جيشه واضطره الى الفرار الى التولغا . غير ان مروان فارض خاقان على الصلح فقبله خاقان واعلن اسلامه . ثم انسحب مروان ولم يتابع انتصاراته ، واشتغل بأخذ التورات التي قامت في بلاد الشام والجزيرة وهددت مؤخرته . وكانت هذه اخر محاولة عربية للتوسل في تلك الاراج . وبذلك وقفت حدود الدولة الاسلامية عند جبال القفلس ، كما توقفت في اوربا بعد معركة بونابيه عند حدود البرابيس .

غير انه في هذه الفترة بدأت في الدولة البيزنطية اضطرابات داخلية جرحت الدولة الى التدخل في شؤون هذه الدولة والاعتماد بها . وبسبب حشودات ودسائس معقدة استطاعت دولة الخزر ان تعرض على السلطانية اميراطورا من صنانها .

حضارتهم

وفي اعقاب هذه الفترة وصلتنا اوسع المعلومات عن احوال الخزر . وذلك بفضل رسالة كتبها ابن فضلان الذي رافق بقية ارسلا في سنة ٩٢٢ م (٣٠٩هـ) الخليفة المقتدر الى بلغار التولغا ، ورفضها الظاهري نشر الدين الاسلامي وبناء الجوامع ولكن ريسا كان وادها اغراض اخرى ولم يحاوله عقد اتفاقيات دبلوماسية . ويتبين من وصف ابن فضلان ان البلغار كانوا انذاك يقيمون عند الفسولغا ، كانوا متاخرين نسبيا في الحضارة ، لمصلهم يدو سكنون الخيام ، ولهم بعض العادات الغريبة على المسلمين ، ولكنهم كانوا يخافون الخزر الذين كانوا يقيمون في بيوت مبنية بالحجر . اي ان الخزر كانوا اكثر تقدما في الحضارة ، واقرى عسكريا .

تأثر الخزر بالثقافة الساسانية ، ولكنهم آمنوه ونشروه في البلاد حتى وصل الى هتافيا . وكانت عاصمتهم في البداية بفتجسر ، فلما تم خضت لهجات الرب نقلوا عاصمتهم الى الشمال ، ثم استقروا اخيرا في الانل عنه مصب الفولغا . وقد وصف عدد من الرحالة العرب مدينة الانسل ومن اوضح وادق هذه الاوصاف ما ورد في كتاب المسالك والممالك للاصطخري حيث يقول : «والتل قطنان : قطعة على غرب هذا النهر المسى اتل ، وهي الكبرى ، و قطعة على شرقه ، والمالك سكن في القرى منها ، وهذه القطعة مقدارها في الطول نحو فرسخ ، ويحيط بها سور ، الا انه مفرش الشاء ، وابتنتهم خرگامها لود الا شتا يسيرا بني من طين ، ولهم اسواق وحمامات ،

وفيها خلق ومن المسلمين . قال انهم يزبون على عشرة الاف مسلم . ولهم نحو ثلاثين مسجدا . وقصر الملك بعيد من شط النهر ، وتصره من آجر ، وليس لاحد بناء من آجر غيره . ولا يسوغ الملك لاحد ان يبني بالآجر . ولها السور ابواب اربعة : منها الى ما يلي النهر ومنها الى ما يلي الصحراء على ظهر هذه المدينة ، ملكهم يهودي يقال ان له من الحاشية نحو اربعة الاف رجل . . . ويقول ايضا ولملكهم سبعين من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين واهل الاوثان ، اذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء . ولا يصل اصل الحوائج الى الملك نفسه ، وانما يصل الى هؤلاء الحكام ، وبين هؤلاء الحكام يوم القضا ، وبين الملكيين يرأسونه نيسا يجري من الامر ويتصرفون فيه فيرد عليهم امره ويضونه .»

● الخزر يعتنقون اليهودية

ظاهرة فريدة

الخزر هم الشعب الوحيد من شعوب العالم ، الذين اعتنق ملوكهم اليهودية ، ولعل هذا اليهود راجع الى عوامل سياسية : ذلك انهم اعتبروا انفسهم قوة سياسية ثالثة بجانب العرب والروم : وقد كونوا مع كل من هاتين القوتين علاقات سياسية وتجارية ودبلوماسية ، ولكنهم لم يحاولوا الاندماج في اي منها ، واثروا الاحتفاظ بكيانهم المستقل ليستطيعوا القيام بدورهم .

دولتها

غير انهم لاحظوا ان دينهم الساماني القديم ابتدائي لا يسمو الى مستوى الاسلام او المسيحية ، ولا يساعده على منع الحكام مكانة مرموقة كالتي يستحقها الديان الاخريين لحكام عباية . لذلك راو انه لا بد لهم من اتخاذ دين خاص يحمي كيانهم ومكانتهم ، فوقع اختيارهم على اليهودية ، وهي دين سلاوي يعرفه المسلمون والنصارى ، ولا يؤدي اعتناك الى الخضوع والانصيهار في الاسلام او المسيحية . غير انهم لم يلتزموا بالترت اليهودي ولم يبيروا رعاياهم على اعتناق اليهودية او مراعاة تقيدها لمرحلة .

ولا بد ان هؤلاء الملوك كانوا قد عرفوا شيئا عن اليهود واهليتها وعقائدها من لحا اليهود من المفسهدين على يد امارة البيزنطيين وخاصة على يد الثالث الذي اصدر مرسوما يقضي بتصرعهم وتضييعهم : وقد استمرت هجرة اليهود اليهم حينما قام بعض

الباطرة فيها بعد عصر من لم يتنصر الى اليهود بالمعاصر . وقد جلب اليهود الفارون من الاضطهادات البيزنطية الى بلاد الخزر قائلينهم والفاكرهم وحرولهم الكتابية ، حتى ان ابن النديم يقول : «والخزر تكتب بالبرانية» . يقول المسعودي ان ملوك الخزر تهوودوا في زمن هارون الرشيد . وروي البكري ان ملك الخزر اراد ان يعتنق دينا سلاويا ، فاروى له يهودي ان يفحص هذه الاديان ، فليسا فلما بالنصرانية ، وطلب رجلا منها ، فلما حفر سالة اليهودي فآثر النصراني ان دين اليهود حق وانه ضمن نبوة موسى وباتورة . ثم طلب مسلما غر الى المسلم تولي قبل ان يصل الى حضرة الملك ، وبذلك صفا الحو للكه يهودي ، ولعل هذا الخبر اسطوري ، ولكنه يمكن ان ملك الخزر اخذ من الدين اليهودي خطه العام وهو الامانة بالثورة ونبوة موسى ، وذن التوغل في التفاصيل المفرقة .

اما الرواية اليهودية عن تهود ملك الخزر فقد اوردها حسداي بن شيرورت ، وهو طبيب الخليفة الاندلسي عبدالرحمن الناصر ومنظم مائته . فقد ذكر حسداي انه ارسل سفارة الى ملك الخزر يسأله عن سبب اعتناك اليهودية ، فاجاب ملك الخزر بان الملك بولي ، وهو احد اجسادهم ، رأى في الحلم نورا ارشده الى اليهودية ، وعنده بقاء ملكه الى الابد انه تهود ، فلما استيقظ بولي جمع مجلسي الاديان الثلاثة وناقشهم ثم اختار اليهودية ديناً له .

واكد ملك الخزر في جوابه الى حسداي ان قومه لا يتنسون السى الساميين وانهم من نسل يافث وحفيد طرفة الذي تحضره من الترك كما تحدثت منه اقوام اخسرى . وذكر فتوح اجداده ووصولهم للدانوب الذي حدث بعده تهود الملك بولان . ثم أعاد بولان ملك اهتم بآفاقه اليهودية : ولا ان اليهود اخذوا مراحل متعاقبة بل بظرف السهرة وانتهت بتبشيت الثقافة اليهودية . وذكر ملك الخزر في رسالته ايضا انه يقف بوجه تقديم الروس الذين لولاه تلغولوا في تخريبهم ولوصولهم بغداد نفسها .

وقد تحدث بعض المؤلفين والاحاكة اليهود عن الخزر وتهودهم ، كما ذكر بعضهم عددا من الخزريين تواجدوا في بغداد والاسكندرية والاندلس والقسطنطينية . واكدت المصادر ان هؤلاء اليهود ليسوا من اصل ارنايلي وانهم من القرائين ، اي من الفرق التي لا تؤمن بشروح التهود .

● انحطاط دولة الخزر

لم يحصل الخزر من تهودهم على مكانة مرموقة ، بسبل العكس ان

اليهودية هي التي استفادت من قوتهم العسكرية والاقتصادية : والواقع انه لم يرد ايمان القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ذكر لحروب خاضها الخزر اللهم الايمان في القرن الثامن، وكان احدما عندما ماتت ابنة خاقان الخزر رعي في مناضها، وكانت قد تزوجت والي ارمينية المسلم، فانزاع ملك الخزر من سبب الوفاة، وطفه محاولة متعمدة لقتلها، فقام بهجوم على اطراف الدولة الاسلامية : وفيما عدا ذلك فقد ساد السلم والاستقرار في العلاقات مع المسلمين والروس .

تقدم الفايكنج والروس

غير انه طهر في القرن التاسع الميلادي خطر جديد انبعث من الفايكنج الذين يسمون في المصادر المعاصرة «الروس» . فقد تقدم هؤلاء الفايكنج من سكنة نافي ساكني الانهار والبحار بالسفن، وساروا بثلث ابحه احدهما الي الغرب لفرض ايسلندة وابرلندة ونورماندي وسارس وشواطئ الاندلس وإيطاليا ثم وصل الي القسطنطينية فدخلها، وبذلك برزت اهمية الخزر في الصمود بوجه الفايكنج وحماية البيزنطيين والمسلمين من انظار غزوهم .

اما الرتل الثاني من الفايكنج فقد تقدم من شالي ووسيا ساكني نهرى النولفا حتى وصل بحر قزوين : وسلك نهر الدنيبر ايضا حتى وصل البحر الاسود : وقاده هذا التقدم الي الاستخدام بالبلغار والخزر لانه هدد الملاكي في بلاد يسكنها السلاف . وقد ظل هؤلاء والروس يكتسزون الاقاليم الجنوبية لقرية من الزمن، ثم استقروا وتأثروا بالحضارة السلافية واضطربوا بها .

وللوقوف بوجه التقدم الروسي تآلوا الخزر والسلاف على بناء قلعة سركل في مصب الدون ، فحشا عن

حصون اخرى شيدها الخزر لهذا الغرض . غير ان الروس استطاعوا تثبيت اقدامهم : ثم سيطروا على كييف وجعلوها عدينة زاهرة .

واستغل الروس في إحدى الفترات انشغال الجيش البيزنطي في بعض المعاهد بعيدا عن العاصمة ، فقاموا بغزو القسطنطينية وهب كافة القرى والاديرة حولها . وقد نهبت هذه الغزوة البيزنطيين الي خطر الروس فحاولوا القضاء عليهم ، واخذوا يستنصبونهم في الاسطول وفي الجيش، وسعدوا لهم بالناحية مع القسطنطينية بشرط غاشمة : ان تنصرت اوليا ابرهه كييف . واستقرت النصرانية في تلك الامارة بعدئذ، وبذلك توطئت العلاقة بين البيزنطيين والروس على حساب الخزر الذين اخذت احوالهم بالندور .

الجريون

ومن الشعوب ذات الصلة الوثيقة بدولة الخزر في تلك الازمنة هم الجريون وهم قبائل جاءت في الامصل من مناطق الاورال، وسكنوا بين الدون وكوبان ولهم لغة خاصة لا تشبه من يجاورهم الا لغة اهل قلندة . وكانت علاقتهم طيبة مع الخزر ، فكانوا يجيئون للخزر الضرائب من الشعوب المجاورة وخاصة من البلغار : ثم عين لهم خاقان الخزر ملكا منهم هو ارباد الذي يعتبر اول ملك احتفاري، وقد قاد هذا الملك الجريين واوطنهم هناك في بلاد حيث لا يزالون مقيمين فيها حتى اليوم . وقد انضم عدد من الجريين الي الجريين فكانوا في تكوينهم العربي .

سقوط الدولة

تقدم الروس

ادت هجرة القبائل الجرية نحو الغرب وتأسيب اماره كييف التي تطبق الحصار على دولة الخزر من الغرب : ثم ظهر لمخطر جديد مهدم من الشرق جاء من الروس الذين اخذوا يتقدمون لتجارة احياء وللنهب احيانا فغير، وقد وصف المسعودي احدى غزوات الاسطول الروسي لمدينة ام سنة ٣٠٠ هـ حيث قال في وصفه عن الروس : وقد كان بعد ثلاثمائة من الهجرة ورد عليهم نحو من خمسة مائة مركب ، في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج ينطس الفضل ببحر الخزر ، وهناك رجال ملك الخزر مرتين بالمعد القوي يصدون من يرد من ذلك البحر . فلما وردت مركبات الروس الي رجال الخزر الذين على لم الخليج واسلوا ملك الخزر في ان يجتازوا البلاد ويحدهوا بنهر، فدخلوا نهر الخزر وضموا ببحر الخزر . فاجابهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بسبب النهر فيه وساروا مصعين في تلك النهرية في الله حتى وصلوا الي نهر الخزر وانصعدوا فيه الي مدينة ام . فانتشرت مركبات الروس في هذا البحر وطرحت سراياها الي الجبل والديلم وبغداد طبرستان واسكوتن ، وهي بلاد على ساحل جرجان وبغداد الناطقة ونحو بلاد اذربيجان . . . لسفكت الروس الدماء واستباحست الشئون والاموال ، وغنمت الاواله وسبوت الفارات واخرت باقرت . فقمع من حول هذا البحر من الامم لاهم لم تكونوا يمدون في قديم الزمان عسدا بطرقهم بله والما تختلط فيه مركبات التجار والصعد . . . وكانت الروس تآوى عنه وجوها من غاراتها الي جزائر قرب من الناطقة

على ايمان منها . وكان ملك شروان يرشد على بن الهشم ، فاستعده الناس وذكروا في القصور ومراكب التجار ، وساروا نحو تلك الجزائر، فالت عليهم الروس، فقتل من المسلمين وغرق الولد ، واقام الروس شبيرا كثيرة في هذا البحر على ما وصفنا لا سبيل لاحد من جاور هذا البحر من الامم اليهم ، والناس مهابون لهم ، فحذرون منهم ، لانه يجر عاصم من حوله من الامم ، فلما غنوا وشعوا ما هم فيه ساروا اليهم ثم نهر الخزر وصعبه . . . ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم امة عظيمة، وعلم بشانهم اللازمة من في بلاد الخزر من المسلمين، فقالوا لملك الخزر خلنا ومؤلا القوم فقد اغاروا على بلاد اخواننا المسلمين وسفكوا الدماء وسبوا النساء والذراي، فلم يبق لملك منهم وبعت الي الروس فاعلمهم بما قد عرض عليه المسلمون من حريم ! وعسكروا وشربوا يطلبون منحدرين من الماء ، فلما وقعت البيوت على ايدي خربت الروس عن مراكبها وصاروا المسلمين ، وكان مع المسلمين خلق من الصغار من القتيين بديعة ام وكان المسلمون من نحو خمسة عشر الفا للخيول والسعد ، فقام الحرب بينهم ثلاثة ايام ، ونصراة المسلمين عليهم ، واخذهم السيف ، فمن قتل وغرق، وقد وصف منهم نحو خمسة الاف، وذكروا في المراكب الي ذلك الجانب ما يلي بلاد برطاس ، فقام رتل من اممهم بطلوا بالبر، فنهبت من قتلوا من برطاس، ومنهم من وقع الي بلاد البربر الي المسلمين لقتلهم . وكان من وقع عليه الاحصاء من قتل المسلمين على شاطئ نهر الخزر نحو من ثلاثين الفا . ولم يكن للروس من تلك الغنائم عودا الي ما ذكرناه . وقد جدد الروس هجومهم بعد ثلاثين سنة فاحتلوا برطاس ، ثم تعاقبت بعد ذلك حملاتهم .

امارة كييف

اما اماره كييف فقد قامت بحملة نجحت في اخذ مدينة سركل ، فكان ذلك ايمانا بزوال دولة الخزر، وكان ملكهم فلاديسير قد اعتنق النصرانية الاثوزكية بعد ان حاولت مختلف الديان جلبه اليها . ومن الطرف الاخر نذكر انه عندما حاول اليهود اقتناعه باعتناق اليهودية سألهم اسادا من يقيمون في فلسطين ؟ فاجابوا لان ذلك غريب على احداهم لما اتقنوه من آلام وشربوا فشتتهم بين الناس : فلما سمع فلاديسير جوابهم طردهم قائلا : كيف تستقيمون هذيان الناس وانتم مشتتون قد يؤتم بقبض من الله . وقد حاولت الدولة البيزنطية الاعتماد على اماره كييف في حمايتها، غير انها اخطأت التقدير ، لان اماره

كيف لم تدم طويلا ، بل سرعان ما انهارت أمام تقدم المغلقين الأتراك الذين بسطوا سلطانهم على بلاد واسعة امتدت حتى عنتابا ، وطلت السيطرة من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر حيث اكتسبهم الفول . وكان موقف هؤلاء القبايل معاديا للبيزنطيين ، وما تجد الإشارة اليه أن فرعا آخر من الأتراك الزرية ، وهم السلاجقة تقدموا في آسيا الصغرى وسحقوا الجيش البيزنطي وأسروا إمبراطوره في معركة ملاذكرد الشهيرة .

فترة مظلمة

لقد سيطرت على هذه الأقاليم خلال هذه الفترة عصور مظلمة لا تعلم فيها عن شسب تلك البلاد إلا تفاصيل ، والمصادر الوحيدة عن هذه الفترة هي المصادر العربية ، وهي بدورها متضبة وغير متفقه في معلوماتها : فيقول ابن حوقل أن الروس دمروا كليا غزوان وسندرد والاسيل ، غير أن المصادر الروسية لا تذكر حمله قام بها الروس آنذاك ، ويلاحظ أن ابن حوقل يصل بين غزوان والاسيل ، علما بأن مدينة واحدة ، كما أنه لا يذكر سركل ، ثم أنه يذكر أن الاسيل كانت لا تزال في زبسه مركزا للتجار الروس ومن المحتمل أن الروس غزوا الاسيل ففر أهلها ثم عادوا ليؤسسوها . ويقول ابن مسكويه أن الفرس استعادوا الاسيل بمساعدة المسلمين . أما القديس فام بشر إلى غزور الروس ويكتفي بالقول أن أهل الاسيل ساروا نحو البحر ، ثم عادوا إلى مدنهم بعد أن اعتنقوا الإسلام .

الغزور في أواخر العصور الوسطى

وقد ورد ذكر الغزور في المصادر المتأخرة ، كما يدل على عدم اندثارهم ، غير أنه لا ترد معلومات عن قوتهم وتسلطهم وما يدل على مسيطرتهم وضعفهم ثم زوال دولتهم . غير أن زوال دولتهم لا يعني زوال آثارهم في أماكن وشسب متعددة ، فيذكر ابن العربي أن تلك إربسلجوق كان في الأصل قائما في جيش خاقان الغزور ثم انفصل عنه فأسس الدولة السلجوقية . ويقول ابن العديم أن أبو سلجوق كان من أشرفاء الترك الغزور ويقول ابن حوقل بأن سلجوق كان في خدمة ملك الغزور ثم ترك تلك الخدمة ، وكل هذه النصوص تظهر وجود علاقة بين الغزور وبين مؤسس الدولة السلجوقية ، وترتد ذلك المصادر العربية ذكر المسلمين ومكانتهم في تلك المنطقة . كما أشارت الألام الأدبية البولندية إلى الغزور .

وفي القرن الثاني عشر الميلادي انتشرت بن الغزور نوبة بطشور منح خصه البيوت خزي يهودي اسمه شليبون ابن دوجي وعاون في نشره ابنه صاميه وقد أدى شليبون ابنه هذا إلى أنشأ وإن ابنه هو المسيح المنظر : وأكتب في ذلك عددا من اليهود في مختلف الأنظار ، وأول أن يسيطر على بعض البلاد إلا أنه قتل في هذه السيطرة . وقد انتشرت دعوى في البلاد وظلت ذكرا قائمة أمدا ، وروي أن النجبة الأساسية التي تنحها إسرائيل شعرا لها هي من إبداع شليبون هذا .

التشتت

لقد فقدت دولة الغزور في سنة ٩٦٥ إمبراطوريتها ، ولكنها لم تفقد كيانها . بل ظلت دولة صغيرة ذات حدود واسعة حتى القرن الثالث عشر حيث أزيلت الدولة نهائيا من الوجود ، وقد أرسلت قبل زوالها إلى البلاد السلافية فروعا لتشتت اليهودية ، فكانت بذلك الوسم وأقوى منطقة لليهود في العالم الحديث : وانضمت اليهود بتناسق إلى مختلف الجهات تجارا ورحالين وروما ولا وطن لهم إلا حيث يقبوا وقتا في محلات مصورة تسمى الجيتو ينشؤون فيها مدارس وعياداتهم ويتنظرون مسيحا ينقدهم .

الهجرة إلى الجور

ففي عنتابا مثلا انضم عدد من الكباريين إلى الجورين وهاجروا إلى عنتابا . وقد بدأت هذه الهجرات قبل تدمير دولة الغزور ، ثم استمرت بعد ذلك فلما انتصر سانت اسطيان فقد اليهود بعض مكانتهم ولكنهم لم يفقدوا كيانهم . وقد صدر في الجور ما يسمى الرسوم الذهبي ، وهو شبه الامنكا كارتا الانكليزية ، وجرم فيه اليهود من وظائف سك النقود وجمع الضرائب والسيطرة على المالح الملكة ، ما يدل على أنهم كانوا يشتغلون بهذه الاميازات قبل ذلك . ومن المعلوم أن حاليه الملك الفرسية كان يشرف عليها رجل اسمه نيكا وهو يهودي من أصل غزوري لمجدورا خطيرا في سياسه وظل باقي في منصبه مدة أحد عشر سنة ورفض صدور الرسوم الذهبي ، ولم يزل عن عمله إلا بعد ما تدخل البابا واجرير الملك على ذلك . فذهب البابا إلى النسيان ولكنه عاد إلى عنتابا في عهد الملك بولا الرابع ، وهو ابن الملك اندرية : وظل في عمله حتى قتل الملوك عندما غزور عنتابا .

غزو المغول وأثره

وتأثر المغول أوروبا قوت كثير من النسيب من وجهها ، ولما بعضهم ومنهم الكومان إلى عنتابا . المدن وتقلت البشر وتدمر المزارع ، الثالث عشر جيوش جنكيزخان تهمم ونلوا الموت الأسود (١٢٤٧) وهو وباء هائل اجتاع البلاد وقتل معظم السكان ، وفر كثير منهم تاركين البلاد خرابا ليس لها من بصرها . وهكذا هاجرت النسيب ، لأن الهجرة هي السبيل الوحيد لبقائها في الحياة إذا ارادت ذلك ، فكان من هاجروا هؤلاء الغزور فنجفوا بين سيفهم من أبناء جلدتهم الذين استوطنوا في أوكرانيا وجنوب روسيا ، ومن مظاهر هذه الانسلاخ الخربة لكثير من الأماكن في هذه المناطق وفي الكاربات وكذلك في المقاطعات الشرقية من آسيا . غير أن عددا منهم ظل في الكرج وفي القفاس ولا يزال حتى اليوم في شرقي القفاس عدد من اليهود يسبون أنفسهم دافع جو فوني أي يهود الجبال .

الهجرة إلى بولندة

وفي سنة ٩٦٢م ، وهي السنة التي تدمرت فيها مدينة سركل الخربة ، كورت القبائل السلافية حلفا بزعماء البولنديين ، وكان هذا الحلف نواة دولة بولندة : وقد لبس اليهود دروا ملحوظا في هذه الأحداث ، وبرروا المرشحين لعرش بولندة كان رسلا يهوديا اسمه إيراما بروفوكس ، وسوا كان هذا الخبر صحيحا أم لا فإنه يدل على أن اليهود ، وهم هنا من أصل غزوري ، كانت لهم قوة وعدد ملحوظ في بولندة آنذاك ، وأن البولنديين ارادوا الأفادة من خبراتهم في الإدارة والمالية .

غير أن أعدادا أخرى من اليهود أجبرت على الهجرة من بلاد الغزور وأوطنت الأقاليم الغربية ، ومن هؤلاء عدد من الاسري الذين نقلوا إلى نسيان لوبيا ثم إلى بولندة . ولعل منهم أيضا ما عدى من القرائين . ويذكر الرحالة الفرنسي دي لاوي أن أعدادا من الهكاليات اليهودية كانوا يقطنون في أرجاء مختلفة من شمال بولندة ، وقد بدأوا ويتكلمون اللهجة التركية ما لا قد يدل على أن أصولهم غزورية . ولا تزال هذه اللبسة هي السمتل في العبادات الدينية لليهود القرائين في عدد من المسمند مثل تروكي ولنا ولووك وخالج .

امتيازاتهم في بولندة

اتجبه البولنديون عند تأسيس دولتهم نحو الغرب : ولما كانوا

متأخرين عن الأقاليم الغربية فقد عملوا على تشجيع الهجرة إلى بلادهم ليستفيدوا بمجارات الغرب وبذلك عاجز اليهم اقوام من الخزر والارمن وغيرهم . وفي سنة ١٢٦٤ اصدر الملك بوليسلاف مرسوما حدد فيه حقوق المهاجرين اليهود ، فباح لهم الاستيطان بكنائسهم ومدارسهم ومبانيهم ، وبذلك الاراضي وممارسه التجارة واحتراف ما يريدونه من الحرف . ثم اباح لهم الملك سيبغان بافاري (١٢٧٥-٨٦) انشاء برلمان خاص بهم يجتمع مرتين في السنة وله حق فرض الضرائب على اليهود . وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر ارسل البابا كليمنت الرابع الى احد امراء بولندية يشكو فيه من كثرة المضايك اليهودية في مدن بولندية ، ومن اتساع بناتها وكثرة زخارفها وطمعها في الفسامة على الكنائس المسيحية . ثم اصدر امرا يسمع فيه اليهود من اقامة اكثر من كنيسة واحدة في كل مدينة . كل هذا حدث في الوقت الذي كانت فيه جيوش المغول تتجتاح في لغزها صوب روسيا ، ما يعدل على ان معظم يهود بولندية كانوا من الخزر الغازين من وجه المغول ، وانهم كانوا في وضع مالي جيد . ولعل عدمهم لم يقل عن ربع مليون . من التوجه الكلي ليهود اوروبا الوسطية البالغ مليوناً في تقدير دائرة المعارف اليهودية . وهذا يدل على ان يهود الخزر كانوا نسبة عالية من يهود شتري اوروبا ، ومن الطبيعي ان معظمهم هاجر الى بولندية ولتوانيا ، وإلى هنغاريا والبلقان .

مكانة عالية

كانت لليهود مكانة متفوقة في بولندية وهنغاريا . فكان منهم مدراء ، على وجهات الضرائب والمسيرات على استكراات الملح . وابلحان ان التقدوا البولندية السكونية في هذا الزمن كانت عليها حروف عبرية . وقصد امتد نفوذ اليهود الاقتصادي في بلاط الامراء ، ايضا . وامتلك بعض اليهود مزارع واسمة . غير انهم من حيث النجوم لم يقبلوا على الزراعة كثيرا ، لان النظام الانعزاعي يمنع هجرة الفلاحين ، كما ان مخاض بولندية يختلف عن مخاض بلاد الخزر ، وهذا فضلا عن ان الزراعة لا تؤتي ارباحا كبيرة . وقد أدى هذا الى انصراف اليهود الى الصناعة والتجارة . وكان يهود اوروبا يعيشون في محلات خاصة محاطة بأسوار تغلق ابوابها هذه في الليل ، ولم يكن لليهود مجازو هذه المحلات التي أصبحت سبب ذلهم مزمنة السكان وتنسم بالقدارة . اما في بولندية فكان اليهود يسكنون في محلات مفتحة يمارسون فيها

اعمالهم في الصناعة والتجارة ، وقد احسروا التجارة بالتخشب والنقل بالمرات الذي طلى سائدا في بولندية حتى دخل السكك الحديدية اليها . واشتمل عدد من اليهود في ادارة الغنائق والخنايا وفي المصانع وتجارة الفراء . ولا بد انهم جلبوا هذه الصناعات معهم من بلاد الخزر ، لان المحلات المغلفة الغربية لا تسمح المجال لتو مشتل هذه الحرف . وبلا حظ ان زخرفة مساكن اليهود في بولندية يختلف عن زخرفة المساكن في غربي اوروبا ، وان البسة اليهود البولنديين من القفطان الحريري المطرول ، وكذلك الحلية ووسوم تشبه ما هو مستعمل عند الاقوام الساكنة في جنوب روسيا .

من أين جاؤوا

يتبين مما تقدم (اي ان الاسماء الخزرية اخذت من مسرح التاريخ (٢) انه ظهرت مراكز يهودية في المناطق المجاورة لموطن الامة الخزرية ، وخاصة تلك الواقعة في الجبال الشمالية الغربية (٣) ان عددا كبيرا منهم هاجر الى بولندية غير ان السؤال الذي يبرز هو : هل استقر في بولندية يهود هاجروا من غرب اوروبا ؟

يهود اسبانيا

ان القسم الحاليات اليهودية في اوروبا الغربية ، ما عدا اسبانيا ، هي الحاليات التي كانت تقيم في فرنسا والراين . وقد استوطنت تلك الحاليات هذه الاقاليم بعد ان طردهم الرومان من فلسطين وشتتوهم : ثم انتقل بعضهم الى انكترية في زمن وليسم الفاتح ابياسروا تشاهل الاقتصادي والمالي بعد ان تحدد نشاطهم التجاري الذي عرفوا به في المصنوع الوسطي ، بسبب ترو الطبقة الوسطى في اقليم غربي اوروبا : فانصرف اليهود الى ايام الامور المالية واعتمدوا على الطبقة الحاكمة . وقد بلغ عدد المهاجرين الى انكترية في زمن وليم الفاتح الذين وخسانه .

الاصطهادات في اوروبا

وقد تتابعت الاصطهادات على الحاليات اليهودية في فرنسا ، وانتجت لهم طردهم لليبيل الجبل من فرنسا كلها . اما يهود فرنسا الحاليون فقد جاؤوا من اسبانيا ابان القرن السابع عشر . اما يهود اثنائها فلا تعلم اصولهم ، غير ان الاشارات الى وجودهم تكسر في القرن الثالث عشر ، اعندما ازداد عدد المهاجرين اليهود من بلاد الخزر

الى بولندية . وقد تردد ذكرهم في المسند الواقعة على الراين مثل ميتر وستونجات وكولون والالزاس : وقد ذكرهم الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي وأشار الى قلة عدمهم . ولما بدأت الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر ذبح عدد من اليهود في المدن الالمانية لانهم رفضوا التصرع والتصديق ، وبذلك لم يبق في المانيا الا عدد قليل من اليهود الذين اختفوا او التجأوا الى بعض امراء القلاع ثم عادوا بعد هدوء الاحوال الى مدنهم ؛ ولكن لا يوجد اي دليل على انهم هاجروا الى بولندية او الى اوروبا الشرقية .

ثم استعاد اليهود نشاطهم في القرن الثالث عشر وتردد ذكرهم في عدد من المناطق الغربية من الراين والبلاتينات وفرنبروغ وأولس وصيدلرغ . غير انهم سرعان ما واجهتهم تكبات جديدة بدأت بطردهم كلها من بلاد فليبيل الجبل ومصادرة اموالهم ، فهاجروا الى يورفاني وبروندي وكوتيتانيا . غير انه لا توجد اية اشارة الى هجرة احد من هؤلاء اليهود الى المانيا . وجاءت النكية الثانية من الطاعون الاسود الذي ظهر في الترستان ومنها انتشر غربا حتى اجتاح اوروبا والشتي كثر من سكانها : وراقى استشاره اشاعة عمت بان اليهود عملوا على نشره وانهم يسمون حياء السرب ، فتعرض كثير منهم للقتل فضلا عن مات بالطاعون . وبذلك خلا المانيا من اليهود الا القليلين الذين لجأوا الى قلاع الامراء ، وكل هذا يدل على ان يهود بولندية لم يهاجروا من المانيا .

اما يهود الكلترة وفرنسا وهولندية في القرن السابع عشر فقد جاؤوا من اسبانيا . فالتقوا بان يهود غرب اوروبا هاجروا من اقليم الراين باعداد كبيرة السى بولندية وانهم اخترقوا اراضي المانيا للمساعدة لهم . هو قول لا اساس له للصحة ولا يتسجم مع الجسم الصغير ليهود الراين وبعثتهم في البقاء هناك . هذا فضلا عن عدم وجود اية اشارة في الكتب الى مثل هذه الهجرات شرقا .

تيارات متقاطعة

وعلى ضوء ما سبق يمكن ان يفهم المزمع اتفاق المؤرخين البولنديين على ان معظم اليهود كانوا عديدا في بلاد الخزر : وانحى ان المزمع ليس الي راي المؤرخ اليهودي كوشير بان كافة يهود اوروبا هم من اصل خزري خالص .

يهود النصارى

لقد كانت توجد في اواخر المصور الوسطى جاليات يهودية تقيم في لبنان وبراغ والالب الكنازى وبستريا ؛ وان بعض هذه الجاليات هاجرت الى ايطاليا وبولندة وهنغاريا . فمن اين جات هذه الجاليات في الاصل؟ قد يمكن الافتراض بان هذه الجاليات جات من ايطاليا التي قلعتها اليهود منذ زمن الرومان غير انه لا يوجد ما يؤيد هذا الافتراض . بل بالعكس توجد ادلة على ان بعض يهود الخزر هاجروا الى ايطاليا . وقد تبني بعض المؤرخين رواية استوطارية مفادها ان المقاطعات النصاروية في المصور السابقة لانتشار المسيحية كان يحكمها امراء يهود . ولم تذكر المصادر اصول هؤلاء اليهود ، غير ان اسماءهم التي ذكرتها الرواية تدل على ان اصولهم من منطقة الخزر . ومن العلوم ان النصارى طلبت طسلاو الصلح الاول من القرن العاشر تحت حكم الهنغارين . وان الجريح وصلوا تلك البلاد مع قبائل الكبر الخزرية في اواخر القرن التاسع ، ولم يكن الهنغارون قد اعتنقوا النصرانية ، اي انهم لم يعرفوا غير اليهودية ديناً موحداً . ويجدر بالذكر ان المؤرخون البيزنطيين جون سيناسوس ذكر وجود اليهود في الجيش الهنغاري . وكل هذا يقى ضوءاً على اصول هذه الاسطورة .

دليل لثوي

ومما يناقض الادعاء بان يهود شرقي اوربا جاؤوا من بلاد الراين هو التركيب اللغوي لليدشي ، وهي لهجة العام اليهود ، وكانت شائعة آنذاك ولا تزال مستعملة عند بعض الاقليات اليهودية في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وهذه اللهجة هي خليط غريب من العبرية والايطالية الوسطى والسلوانية وعناصر اخرى . وهي تكتب بالحروف العبرية . وقد بنا الاهتمام بدراستها منذ سنة ١٩٢٤ حين نشر العالم اللغوي ميستر دراسته عنها . ويتبين من هذه الدراسة انه ليس في اليدشي اية كلمات المانية مما يستعمل في منطقة الموسزيل او فرانكورت او المناطق المجاورة لفرنسا . والكلمات اللاتينية التي وجدتها ميستر في اليدشي كلها مما يستعمل في المانيا الغربية . وبلاط ان اليدشي لغة عامية ليس لكلماتها توابع محددة ، فكل فرد يكتب كلماتها كما يريد دون التقيد بآية قاعدة .

التأثر بالثقافة اللاتينية

وبلاط ان بولندة عملت في هدم ملكها

كازيمير العظيم على جلب اللان الى بولندة لاعازها ، وانفذت عليهم الامتيازات ، وامنت لهم الحرية والحقوق فنشطوا وانتشروا جامعة كراكو . وساعدوا على تقدم بولندة وجعلها مركزاً اقتصادياً وثقافياً . وانتشرت بين البروتانتين الثقافية اللاتينية والاداد تدمرهم لها .

وعد ناسي الخزر المهاجرون الى بولندة يدرهم ، فحدثت يعيشون من الثقافة الانانية ويبدو بها . ولم يقف بوجه هذه الثقافة اللاتينية الا الفرقة اليهودية المصروفة باسم القرائين ، وكان اتباعها يعيلون الى الزهد والى كره عالميه علماء الدين اليهود . ويجدير باللاحظ ان القرائين في سنة ١٨٦٧ كان عددهم في روسيا (والتي كانت تضم شرقي بولندة) يبلغ ١٢٨٤٤٢ ومنهم ٩٦٦٦ فكتسبهم التركية (وروسا كان اصلهم خزري) ولم يكن يتكلم اليدشي منهم يتجاوز ٢٨٢ . ويرجع عدم تكلم يهود بولندة للثقافة التركية التي انهم تركوها استعمالها ، وبذلك تعلموا ما يغفل عن افاد المهاجرين الى الولايات المتحدة . وهذه عائد ما لوقه عند اليهود . وكان به النهضة اوربية انشأ بيده المصور المنظمة اليهودية . فقد أصبحت تطبق بقفهم قوانين صارمة ، ويفصلون عن الناس ، ويحرمون الوظائف والحرف المحترمة ، ويميزون باللباس . وصاروا يمزلون في محلات مقلقة هي الجيتو .

اما في بولندة فقد تمتع اليهود ببعض الحرية حتى اواخر القرن السادس عشر حينئذى تطبيق الجيتو وكثرة المهاجرين الى اذخام مناطق سكناهم والى سو . احوالهم الصحية ! وقد اضطرهم ذلك الى الهجرات الى هنغاريا وروسيا ورومانيا والانسبا حيث حلوا محل من زال بعد الطاعون الأسود .

يهود اوربا للقبائسون وليسو

من فلسطين .

كل هذا يظهر ان معظم اليهود في اوربا ليسوا من فلسطين في الاصل بل انهم قفقايسون في الاصل . وان مجرى الهجرة اليهودية لم يسرن البحر المتوسط الى فرنسا ومانيا . ولكنه اتى يسير دائماً نحو الغرب مبتدئاً بالقفقايس فاوكرانيا فبولندة فاروسا الوسطى . وهذا لا يعني ان عددا من اليهود جاؤوا من الشرق . ولكن معناه ان كثرة اليهود سارت في المسار الذي ذكرناه .

خراقة العرق

السفرودم

يتقسم اليهود في عصرنا الى تسعين رئيساً هما السفرودم والاشكنازي . فان السفرودم فهم متحدرون من اليهود الذين سكنوا منذ ازمة قديمة في اسبانيا (وهي تسمى بالعبرية سفاراد) ثم طردوا منها في اواخر القرن الخامس عشر فانتقلوا الى البلاد المجاورة الواقعة على البحر المتوسط ، وكذلك الى البلقان والى غرب اوربا . وهم يتكلمون اللهجة العبرية الاسبانية (اللانديو) ولهم طقوس دينية خاصة . وكان عددهم في سنة ١٩٦٠ يبلغ نصف مليون .

الاشكناز

اما الاشكناز فهم الغالبية العظمى من اليهود ، اذ يبلغ تعدادهم حوالي احد عشر مليوناً فقد ذكرت التسوية الاشكناز باعتبارهم قوماً يسكنون منطقة قرب جبل اورات في ارمينية . ورد هذا التعبير في سفر التكوين (١٠ - ٢) وفي سفر التواريخ (١ - ٦) باعتباره احد اولاد جوس . ابن يافث واخو طغرمة وابن اخماحوج الذي يعني الخزر انه جهم .

وذكر الاشكناز في سفر ارميا (٧:٥٨) حيث دعاهم النبي ارميا الى تعمير بابل . وقد فسر مسدي الجايون ، وهو من اكبر علماء اليهود في العراق في القرن العاشر الميلادي ، هذا النص بأنه نبوة عما سيحدث في عصره اي في التسوية العاشرة ، وان المقصود بابل هو الخلافة الاسلامية ببغداد ، والمقصود بالاشكناز هم الخزر بفتحهم . ويرى بولياك ، وهو استاذ تاريخ اليهودية في المصور الوسطى في الجامعة العبرية ، ان بعض علماء يهود الخزر سعى تفسير سدبا فصاروا يطلقون على اليهود الذين هاجروا الى بولندة اسم (الاشكناز) .

دم اليهود غير خالص:

الدالة الانثروبولوجية

لخص واناثيل باتاني في مقال السني كتبه في دائرة المعارف البريطانية (طبعة ١٩٧٣) المناقشة العادة القديمة من مدى نقاوة الدم اليهودي بالفقرية التالية : بان الدالة المستخدمة من الانثروبولوجيا الفيزيائية تظهر بانهم لا يوجد جنس يهودي كما هو حاله عند الناس ، فقائس اجزاء الجسم المسجلة لليهود تظهر بانهم يختلفون فسيا منهم اختلافاً كبيراً في مختلف المظاهر البدنية بما في ذلك القامة ، والوزن ، ولون البشرة ، وشكل الجمجمة ، ومقاسات اعضاء الوجه .

واصناف الدم • والواقع ان دراسة اصناف الدم تظهر ان اليهود لا يختلفون عن الشعوب التي يقيمون بينها •

وجاء في احدي الدراسات النافذة التي نشرتها منظمة اليونسكو عن مسألة العرق في العالم الحديث • وقد كتب علم الدراسة الأستاذ جيسون كومان:

• بالرغم من الرأي السائد ، فان الشعب اليهودي خليط من اجناس متنوعة • والواقع ان هجرات اليهود المستمرة وعلاقتهم الطوعية او القسرية مع انواع متعددة جدا من الازم والشعوب كانت من عوامل هذا التنوع وان ما يدعي شعب اسرائيل يمكن ان يظهر امثلة على صفات يتصل بها كل شعب ويكفي للتفصيل على ذلك ان نقارن اليهودي من ووتردام وما يتشبه به من ضخامة باين دينه من اصل سلاتيك وما يتصل به من عيون غائرة ووجه عريض وجسم هزيل • وهكذا فان معلوماتنا تظهر ان اليهود عموما يشتملون درجة كبيرة من التباين والاختلاف تلحق ما يوجد بين الشعوب الاخرى •

طول القامة

وذكر وليم ريسير في كتابه الكلاسيكي • عروق اوربا • الذي طبع سنة ١٩٠٠ •

«اليهود الاوربيون قامتهم اقصر من المعتاد • وهم في الغالب Stunted مصلطاه وقد اورد على ذلك اسمائيات كثيرة • غير انه ذكر ان قصر القامة قد يكون مرجعه الثاني بمواسب محيطية •»

وفي سنة ١٩١١ نشر موريس فيشرج كتابه «اليهود: دراسة في العروق والمحيط» وهو اول مسح انثروبولوجي من نوعه باللغة الانكليزية وقد كتف في هذا الكتاب حقيقة شبيهة وهي ان اطفال المهاجرين من اوربا الشرقية الى الولايات المتحدة قد يصبح معدل طولهم ١٦٧.٩سم اي ان الطول يزيد حوالي اربع بوصات في مدى جيل من الزمن • وهذه الظاهرة تنطبق على المهاجرين من الاجناس الاخرى وهي ترجع الى تحسن التغذية والى عوامل محيطية اخرى •

ثم جمع فيشرج احصائيات تارون بين معدل طول اليهود وطول الشعوب الاخرى في بولندا والنمسا ورومانيا • وعقاربا ٠٠ الم: وكانت النتيجة عجيبة ايضا: فقد تبين منها ان طول قامة اليهود يتطابق مع طول قامة غيرهم ممن يعيشون معهم • فيكونون طوال القامة • في البلاد التي اهلها طوال القامة والمكس بالعكس • ثم ان الطول قامة الناس سواء كانوا يهودا او غير يهود تكون متباينة في افراد نفس الامة بل وفي نفس المدينة.



اليهود المهاجرون الى الارض المحتلة يشتملون دودة كبح من التباين والاختلاف تلحق ما يوجد بين الشعوب الاخرى.

يهود من شعوب أخرى

ثم إن عددا من مختلف الشعوب اعتنقوا اليهودية؛ نذكر من ذلك فلانسا الحبشي، وكان لنج الصيني، ويوسف ذي نواس البستاني. وظل التمسود يحدث حتى في مصر الروماني وبعد سقوط الدولة اليهودية. قلقت امتن اليهودية في تلك الفترة: أفراد من جذاب واليونان والفاكية. ويقول المؤرخ اليهودي رابناح إن اليهودية في العصور الهلنستية والرومانية اتسمت بصفة لم تخص بها في أي عصر آخر وهو أنها أخذت تنتشر، لمدة قرنين أو ثلاثة، بين الناس، وخاصة في مصر وقبرص وليبيا. ولا بد أن هذا واقع اختلاط دم الاسرائيليين بشعوب الشعوب الأخرى.

الجيتو وحصر الزواج

إن ظهور المسيحية وتطبيق نظام الجيتو أدى إلى حصر اليهود غير أن الجيتو لم يطبق بدقة إلا في القرون السادس عشر. والواقع أن الزواج بين اليهود وغيرهم ظل صادرا وكان سببا لاستياء رجال الدين التمساري ولاصداق المجالس الدينية بأوسم متقدمة، كالتراسيم التي اضطرها كل من مجلس طليطلة سنة ٥٨٩ ومجلس روما سنة ٧٤٢ ومجلس لاتران سنة ١١٢٢ و ١١٣٩ وكذلك المرسوم الذي أصدره الملك لادسلاف الثاني الهنطاري في سنة ١٠٩٢. والواقع أن الجيتو حصر الزيجات مع غير اليهود ولكنه لم يمنعها، حتى أنه كان في ألمانيا بين سنة ٩٦١ و ١٢٢٥ أنثان واريون زوجة مختلطة من بين كل مائة زوجة يهودية.

تنصر يهود اسبانيا

أما يهود اسبانيا (السفادورم) فمن المعلوم أن كثير منهم تنصروا فبعد ملاحق سنتي ١٢٩١ و ١٤١١ تنصرت أكثر من مائة ألف؛ ولكن كثيرا منهم ظل يعتنق اليهودية سرا، واحتفظوا بمناصبهم العليا وتزادوا مع غيرهم فلما صدرت قوانين طرد اليهود من اسبانيا (سنة ١٤٩٢) ومن البرتغال (سنة ١٤٩٧) زادت التسكوت من المتنصرين منهم، واحترقت محارم التفقيش عدا منهم، واضطر آخرون إلى الهجرة إلى الأقاليم الأخرى من البحر المتوسط. وإلى هولندا وانكلترا. وفرنسا حيث اعتنقوا يهوديتهم في هذه البلاد.

تصنيف الدم

أما أصناف دمائهم فهي متباينة أيضا وقد أجد ذلك شايير في فصل كتبه في إحدى الدراسات التي نشرها اليونيسكو بعنوان «الشعب اليهودي» تاريخ يوروبي حيث قال: «إنه في الواقع لا توجد بين السكان اليهود في خصائصهم الفيزيولوجية، وتنوع تكررات الـ Genes لمجموعات الدم لهم يجعل أي تصنيف جنسي موجد لهم يبدو غير مفيوط».

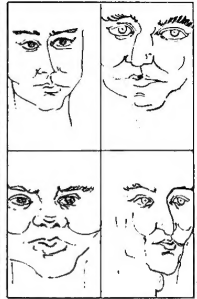
إن القضية الأساسية كما نقول فيشبح هي: هل إن اليهود عرق بغي السلم تكيف إلى حد ما بتأثيرات محيطية؟ أم أنهم فرقة دينية تتكون من عناصر عرقية متنوعة جاءت من تنوع أصول المتهودين ومن الاختلاط بالزواج إبان هجراتهم إلى مختلف أرجاء العالم. وقد أجاب فيشبح عن ذلك بوضوح حيث قال:

اختلاف اليهود قديم

ولقد بدأ بالأدلة الدينية واختبارها إذ يبدو أن قبيلة اسرائيل كانت منذ بداية ظهورها مكونة من عناصر عرقية متنوعة. فقد كانت في آسيا الصغرى ومسوريا ولبنان وأفكاش شعوب متعددة لكل منها سمات خاصة: فالصوريون شعر البشرة، لحالت البدن، وطول القامة وذوي رؤوس مستطيلة؛ والحثيون سمر البشرة وهم أقرب شبها بالفلو، والكتشيون وهم من عرق زنجي، هذا فضلا عن شعوب أخرى. وقد تزوج اليهود مع كل هذه الشعوب كما يتضح ذلك من نصوص التوراة.

أصول متباينة

لقد تصح أنباء اليهود شغيبهم بعمم الزواج من نساء من دين آخر غير أن اليهود، وخاصة ملوكهم، كانوا أول المخالفين لتعاليم التوراة فقد تزوج إبراهيم الخليل هاجر، وهي امرأة مصرية؛ وتزوج يوسف من ابنة رابع مصري، وتزوج موسى امرأة من مدين؛ وكان شمشون اليهودي المشهور يقرب فلسطينيا. أما الملك داوود فكانت أمه عابية، و زوجته جيسوريه. أما سليمان فكانت أمه حثية، وكان يغفل النساء الإغنيات فقد تزوج ابنة فروع، ونسبا، ماريات، وصوريات، ودوميات. وزيدويات، وحيات ويتجلى من التوراة أيضا أن كثيرا من عامة الشعب قلدوا حكماء في التزويج من الإغنيات ولا يخفى أن التوراة تتبع الزواج من الأسرى وهكذا لم يشك اليهود عن التزويج الأخرى في عدم قصر الزواج على نساء من جنسهم.



من ج ٢٨٢ يوربي يونيسكو يوروك سبة منهم قبل أروم سنة ٧٠٥٧، مستطيلة ٧٠٢٠، فلو ٧٠٩٥، سمرية ٧٠٩٥.

وذلك تبعا لرعا تلك المنطقة وهذا لا يعني عدم تأثير الوراثة في الطول، فالتأثير في الحقيقة على المواسل الوراثة ولا نطمي المواسل المحيطية أهمية خاصة.

مقاييس الجمجمة

فلتعد الآن إلى مقاييس الجمجمة التي كان الانثروبولوجيون مفرمين بها؛ وهنا أيضا تبين أن شايير صحيح اليهود لا تختلف عن مقاييس غير اليهود الذين يعيشون معهم في نفس المنطقة، أي أن مقاييس جمجهم متنوعة، فجمجهم اليهود السفادورم مستطيلة، وجمجهم الاشكنازيين مستديرة.

والشأن أن اليهود ذوي سمود سوداء وعيون سوداء. غير أن كروم قام بدراسة تبين أنها أن ٤٠٪ من اليهود البولنديين شعهم فاتح، وأن ٥٤٪ من أطفال اليهود في التمساري عيون زرقاء. أما فيرشوف فقد تبين له من دراسة قام بها أن ٢٢٪ من أطفال اليهود لونهم اشقر.

التزاوج

وقد امتد هذا الاختلاط في التزاوج التي يهود فلسطين أنفسهم، فقد دوى لنا مثلا أن يهودا بن حزقيال عازي زواج ابنه من امرأة لا تنحدر من نسل إبراهيم، وقال له صديقه أولا: كيف تستطيع التحقق بأننا أنفسنا لنسنا منحدرين من الوثنيين الذين انقضوا بآركات صهيون عند حصار اورشليم ومن العلوم أن غشيان نساء الصند كان يعتبر في التواريخ القديمة حقا طبيعيا للجيش الفاتح - وبيرو المؤرخ اليهودي جرايتز أن يهود ألمانيا تحدروا من نسل زوجة عسكرية ألمانية كانت تقابل مع الجيش الروماني في فلسطين فأخذوا معها أبنائها فبنات يهوديات كان من نسلهن أقدم يهود ألمانيا.

ولم يقتصر التزاوج بين اليهود وغيرهم على ألمانيا الغربية، بل كان سائدا في أوروبا الشرقية أيضا: فيبول فينبرج:

«لقد كان الاختلاط الجنسي الناجم عن الحروب كثير الحدوث في البلاد السلافية حيث كان رجالها يملكون أن اليهود يحاولون مداد، اسراهم، فكانوا يملكون على الاكثار من اسرهم اليهود للحصول على الفدية، وكانوا يتكهنون النساء، الاسيرات».

هل لليهودي سحنة خاصة

يدعى البعض انهم يمكنهم تمييز اليهودي من اول نظرة، فهل هذا صحيح؟ لقد قال ارنست رينان في سنة ١٨٨٢، لا يوجد لليهود شكل واحد، بل توجد لهم عدة اشكال: للفيلسوف اشكال متعددة، كما ان علماء من تصورهم يهودا، هم ليسوا كذلك.

الانف

وقد ساد بين الناس ان ابرز ما يميز اليهود هو شكل انوفهم الممددة التي تشبه منقار النسر: غير ان بعض الشريرين ان فينبرج فحص ٢٨٦٦ يهوديا من مدينة نيويورك، فوجد ان منهم فقط كان له مثل هذا الانف، وان ٥٧٪ منهم كانت انوفهم مستقيمة، و ٢٠٪ ذوى انوف فطسي، و ١٥٪ كانت انوفهم مستوية عريضة - وقد وجد عدد من الاثروبولوجيين مثل هذه النتائج في بولندا واوكرانيا.

ولاحظ ان الانوف المفلوكة كثيرة عند قبائل المغاسا وعند سكان اسيا الصغرى، وان ليهود امريكا انوف تشبه الانوف التي يزعم الناس انها من خصائص اليهود - اما اليهود العرب، وهم يمثلوا السامية النقية ليست لهم انوف مفلوكة.

وما ذكرناه عن الانف ينطبق على بقية اجزاء الوجهة التي يزعم بعض الناس انها سمة اليهود. في حين انهم لا يحكرونها بل توجد عند امم اخرى ايضا.

صفات مكتسبة من المحيط

ان الصفات المكتسبة من الاوضاع الاجتماعية ومن العوامل الطبيعية الاخرى يصعب جدا فصلها عن العوامل الوراثية: ولهذه الصفات المكتسبة تأثير كبير على السلوك والكلام والعادات: وان من اهم وسائل تمييز اليهودي هي ملاحظة هذه الصفات المكتسبة، ولاهلاطة البسطة وطرق قص شعره: غير ان هذه الاليسه اذا لم يغير اليهودي فانه يبدو وكأنه يهودي، وهذا لا يقتصر على اليهود وحدهم، بل ينطبق على معظم الشعوب الاخرى، وهو يتجلى بوضوح من مرتابة الخصائص العامة التي يميز بها سكان الولايات المتحدة علما بان اصولهم العرقية متنوعة جدا، وبدور بنا ان نتذكر ان اليهود في المصور الحديثة عاشوا في معظم البلاد معزولين في مجلات خاصة (الجيوتو) فحضرنا الى محيط متشابه وتعرضوا الى تأثيرات متشابهة.

عزلة اليهود في الجيتو

ان اليهود منذ زمن التورات حتى العصور التي طبق فيها الجيتو سادت عندهم العزلة، وانحصر زواجهم في داخل جماعتهم المعزولة. ولا ريب في ان هذا التزاوج المأخوذ قد يؤدي الى الاحتفاظ ببعض الصفات الجينية، كما هو الحال في تزاوج الخيل، غير انه كثيرا ما يسبب خطر جلب عناصر مضرة مجمعة او افراح الجبال لزيادة تأثير هذه العناصر - والحال هذه العزلة هي سبب ما عرفت الناس عن كثرة البها، في اليهود.

ومن تأثيرات العزلة ايضا التغيرات التي تحدث على العناصر الموروثة: فمن المعروف ان بعض الخصائص في الوراثة البيولوجية تنقرض في الشعوب المعزولة ما لم يجد وجود من يحملها اطلاقا، او قلقة الذين يحملونها وعدم نجاحهم في نقلها الى الاجيال التالية، وهذا قد يؤدي الى تبدل كثير من الصفات الوراثية.

ثم ان اليهود لم يشتغلوا كثيرا بالزراعة، ولم يكتروا سكنى القرى بل قصروا نشاطهم على المدن فاصبحوا مكتفزين فيها، وقاسمو من الاخطار التي بولدها حصر انفسهم في الجيتو: وهذا ادى على حد قول

شامرو الى ان الاويثة الكاسحة التي اجتاحت السواد في المصور الوسطى لانه ان تؤثر في اليهود اكثر من غيرهم، فقد الفت الضعفاء، واكسبت الباقين منهم مناعة توفيق ما لغيرهم، ويعتقد شامرو ان هذا هو سبب قلة النسل عند اليهود.

الزواج

وقد رافقت المعيشة في الجيتو ضغوط معادية تراوحت بين الاحتقار البارد الى اعمال عنف تطبق تبعيا لبرامج منظمة. ولا بد ان الحياة لعنة ترون في مثل هذه الظروف قد ادى الى بقاء اشجع حضرة يديهة واكثرهم مرونة وقابلية على البقاء، وهذه صفات تميز بها اليهود الذين عاشوا في الجيتو. ولا يزال البديل قائما حول ما اذا كانت هذه الصفات البيولوجية تقوم على اسي وراثية تصل بوجيها عملية الاختيار، ام انها منقولة بالوراثة الاجتماعية خلال التكيف منذ الطفولة. فالشهور مثلا ان اليهود معتدلون في شرب الخمر، وهذا يمكن تفسيره بانه من اثار الجيتو: فان الذي يعيش في ظروفه لا بد له ان يضغط نفسه من تصرفاته اذا اراد ان يئالة الاذي غير ان حله الساعده تزول عنده زوال ظروف الجيتو، فهي مسألة بيولوجية وليست وراثية اجتماعية.

يقول ديلي وان اليهودي من اصل عربي مختلف، ولكنه من جهة اخرى الوريث الشرعي لليهودية: فان اليهودية قد اثرت في كل جزء من تفاصيل حياته فلماذا لا تؤثر على جسمه وعلى جمال نسائه وعلى اختياراته في الزواج.

غير ان ديلي لم يدرس اثر الجيتو، اما فيفسر فقد درس هذا الاثر ووصل الى الرأي الطريف التالي: يميز يهود أوروبا الشرقية بقوة البدن، أما بقية اليهود فالمرور عنهم انهم تحالف الجسم قصار القامة، غير ان هذه الصفات اختلت اليوم بالتدريج وصار كثير من يهود أوروبا الغربية لا يشبهون اليهود، وعلى هذا فأننا نأمل تبدلات كبيرة فيما يدعى «الطاقة اليهودية»، وخاصة عند الناشئة الاسرائيلية.



١٩٥٠ عام
١٩٥٦ عام



الصفحة
160